التسمية

اصطلح الكتّاب على تسمية المناطق التي تلي حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي بأسم «المغرب العربي» وتشمل: ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب الحالي، وموريتانيا،[1] ولم تكن هذه التسمية بدعاً من القول لأنها تستند إلى حقائق إنسانية ذات مظاهر سلالية واقتصادية واجتماعية، وعوامل تاريخية موغلة في القدم تمخضت عن وحدة الفكر والتراث ووحدة الهدف والمصير[2].

وعُرِفت بلاد المغرب العربي منذ أقدم العصور بأسماء متعددة، فقد أطلق العرب الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدنهم طاقة[3] «أوتيكا» وقرطاجنة: أسم «أفري»[4] وعنهم أخذها اليونان[5]، فأطلقوها على جميع سكان المغرب العربي ابتداء من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، ومنها اشتُق أسم «أفريقية» أي: بلاد الأفري[6].

---

(1) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، 1/ 61، الإسكندرية، 1979.

(2) عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية، 1/ 7، الرباط، 1963.

(3) وكانت تسمّى المدينة القديمة، وقرطاجنة المدينة الجديدة.

(4) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، القاهرة، 1947، ص: 1.

(5) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 1 و2، وينظر: عبد العزيز سالم: المغرب العربي، ص 2/ 125، القاهرة: 1966.

(6) حسين مؤنس: المرجع السابق، 1، وينظر: السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، تونس، 1970، ج1، ق2، ص: 528 وما بعدها.

وعندما تمكّن الاستعمار الروماني من احتلال مدينة قرطاجنة سنة 146م، أطلقوا اسم: أفريقية على جميع مناطق نفوذ الفينيقيين «قرطاجنة» وما حولها[7] حتى نوميديا غرباً[8].

ثم بدأ مدلول هذه اللفظة في الاتساع ليتماشى مع اتساع نفوذ الغزاة الرومان حتى شمل معظم بلاد المغرب[9]. وفي بداية حروب التحرير العربية أُطلقت لفظة «أفريقية» للدلالة على جميع الأقاليم مما يلي إقليم طرابلس غرباً[10]، ثم تحدد مدلولها لتعني الإقليم الذي نشأت فيه مدينة القيروان فقط، وهو ما يُسمّى بالمغرب الأدنى.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين ظل يخلط بين مدلول لفظتَيْ أفريقية والمغرب ولا يميّز بينهما[11]، فقد انتهى لفظ أفريقية للدلالة على الإقليم الذي تتوسطه مدينة القيروان وحده من غرب طرابلس حتى بجاية، وانتهى لفظ المغرب ليشمل عموم أقاليم البلاد وحدُّها من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي وأفريقية جزء منه[12].

(7) سالم: المرجع السابق: 2/ 125.

(8) وهو الإقليم الذي يقابل اليوم الجزء الشمالي من تونس.

(9) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب: 2.

(10) وقد كتب عمرو بن العاص كتاباً إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعد تحرير مدينة طرابلس يستأذنه فيه بمواصلة الزحف غرباً، نصه: «إن الله قد فتح علينا طرابلس، وليس بينها وبين أفريقية إلاّ تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يده، فعل.» ابن عبد الحكم: 232، تحقيق عبد المنعم عامر. وينظر: البلاذري، فتوح البلدان: 237، ط1. وينظر سعد زغلول: 1/ 67 و68.

(11) حسين مؤنس: 3. وينظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ط 1978، ص: 9.

(12) حسين مؤنس: 4. سالم: 1/ 125 و126. وينظر: العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1970، ص: 9 و10.
وللوقوف على آراء المؤرخين في ذلك: ينظر، ابن حوقل: صورة الأرض، طبعة بيروت 64، 65 البكري: طبعة الجزائر، ص: 6 وما بعدها. ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية، طبعة سنة 1984، ص: 30 و31.

وعلى هذا الأساس تُقسَّم بلاد المغرب العربي إلى أقسام أربعة:

1 ـ برقة «انطابلس»[13] وطرابلس «طربيله»[14]

وهما أول أقاليم المغرب فيما يلي حدود مصر الغربية. والملاحظ: أن بعض المؤرخين يُدخِلون هذين الإقليمين ضمن المغرب الأدنى «أفريقية» وقد يُدخِلون إقليم طرابلس فقد دون إقليم برقة[15]، وفصل إقليمَيْ برقة وطرابلس عن أقاليم المغرب الأخرى يعود إلى كون هذين الإقليمين قد كانا يشكّلان وحدة مستقلة في بداية حروب التحرير العربية مرتبطة ارتباطاً طبيعيّاً بمصر أكثر من ارتباطها بالمغرب العربي[16].

2 ـ المغرب الأدنى «أفريقية»

وهو أول أقاليم المغرب، وأقربها إلى مركز الخلافة في المشرق العربي، ويمتد من طرابلس حتى بجاية غرباً، وقاعدته مدينة القيروان[17].

3 ـ المغرب الأوسط

وسُمّيَ بالأوسط لتوسطه المغربين الأدنى والأقصى وحدوده من بجاية غرباً حتى وادي ملوية وجبال تازة في الغرب، وقاعدته مدينة تلمسان وهو يضم معظم بلاد الجزائر الحالية[18].

---

(13) وتعني المدن الخمس التي يتكون منها الإقليم: قورينة وسوسة وطوكره وبرنيق وبرقة وهي قاعدة الإقليم وأشهر مدنه. ينظر: البكري: المغرب، طبعة الجزائر، ص: 4. مجهول: الاستبصار بغداد ـ 1986، ص: 143. وينظر، سعد زغلول: 1/ 63 والهامش السابع.

(14) وتعني المدن الثلاث: إياس (طرابلس) ولبدة، وصبرة، ينظر: البكري: 7. الاستبصار: 110.

(15) السلاوي: 71.

(16) حسين مؤنس: 50 و51. سعد زغلول: 1/ 64 وما بعدها.

(17) حسين مؤنس: 4.

(18) ابن خلدون: 6/ 102.

4 ـ المغرب الأقصى

وامتداد هذا الإقليم من وادي ملوية، حتى مدينة آسفي على ساحل المحيط الأطلسي[19]. ويشمل: المغرب الحالي، وموريتانيا.

جغرافية البلاد

تؤلّف بلاد المغرب العربي، ابتداءً من خليج سِرْت حتى المحيط الأطلسي بأقاليمها المختلفة، وحدة جغرافية وبشرية مميّزة عن بقية أجزاء القارة الأفريقية[20] حتى إنها قد عُرِفت في القرن التاسع عشر بأسم «أفريقية الصغرى» أو ببلاد أطلس إشارة لسطحها الجبلي، وهي بلاد يتجاوز طولها ثلاثة آلاف كيلو متر، وعرضها حوالي ألفَيْ كيلو متر، ومساحتها على هذا الأساس تبلغ ستة ملايين كيلو متر مربع[21].

تحدّها المياه من جهتَي الشمال والغرب، وبعض مناطق الشرق، وتحدّها الصحراء الكبرى من الجنوب[22].

وطبيعة هذه البلاد الجغرافية تتدرج تحت أقسام ثلاثة رئيسة:

الأول: الإقليم الساحلي:

ويمتد على طول شواطئ البحر المتوسط، حتى مدينة طنجة، ثم يستمر محاذياً للمحيط الأطلسي، حتى مدينة نول في بلاد السوس، وأغلب هذه المناطق مناطق سهلية صالحة للزراعة[23].

---

(19) ابن خلدون: 6/ 101. وللمؤرخين اجتهادات في تقسيم بلاد المغرب العربي، ينظر وعلى سبيل المثال: ابن الشماع: 31. السراج: ج1، ق1، ص: 235. العبادي: 9.

(20) يقول ابن خلدون: 6/ 98: «إن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار».

(21) ابن منصور. قبائل المغرب، الرباط 1968، ج1/ 3 و4.

(22) ابن خلدون، 6/ 98 وما بعدها.

(23) ابن منصور: 1/ 9.

والثاني: الأقاليم الجبلية:

حيث تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال درن أو جبال أطلس وهي جبال ضيّقة وَعِرة الدروب والمسالك، تكلل قممها الثلوج في فصلي الشتاء والربيع، وتنقسم هذه السلسلة الجبلية إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ الأطلس الساحلي؛ ويمتد غرباً من جبال أنجزه على ساحل بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) ويشمل: جبال غمارة وجبال الريف وجبال بني يزناتن وترارة ويدوغ وغيرها[24].

2 ـ الأطلس التلي؛ ومبتدأه من المغرب الأقصى، ومنتهاه في تونس بجبال الخمير ويشمل: جبال كندافه وكلاوه، والمدحوس، وبادو وتلمسان وونشريس، والجرجرة.

3 ـ الأطلس الصحراوي؛ ويمتد من الغرب إلى الشرق، ويشمل: جبال باني ودرعة، وصغرو، والقصور، وأولاد نائل، ويرتفع كثيراً عند أوراس[25]، وينتهي في تونس بجبال زغوان وفي ليبيا بجبال نفوسة[26].

وهناك قسم رابع يسمّى النجود العليا، يقع بين الأطلسين التلّي والصحراوي، وارتفاعه يتراوح بين سبعمائة وألف ومائة متر[27].

والثالث: الإقليم الصحراوي

وامتداده من واحات برقة ثم فزّان وزويلة ووارجلا إلى سجلماسة إلى درعة حتى المحيط الأطلسي غرباً. وعلى الرغم من الصبغة الصحراوية

---

24 ـ ابن منصور: 1/ 8.

25 ـ يبلغ ارتفاع قمة الشلية «2328م».

26 ـ ابن منصور: 1/ 8. وينظر، الجوهري: شمال أفريقية «دراسة جغرافية» طبعة الإسكندرية، ص: 6.

27 ـ ابن منصور: 1/ 9.

التي حملها هذا الإقليم، فإن ينابيع المياه والواحات تنتشر في أغلب المواضع، وكانت القوافل تجتاز هذه الأقاليم من مصر حتى المغرب الأقصى لقِصَره عن الطريق الشمالي بحوالى ثلث المسافة[28]. وأما المناطق التي لا خصب فيها ولا ماء فهي الهضاب التي تُعرَف بأسم الحمادة[29]، وهي أراضي صخرية حرشة جرداء اشتهرت منها الحمادة الكبيرة بين سجلماسة ووادي جير، وكانت القوافل تقطعها في ثلاثة أيام، ثم الحمادة التي تفصل وادي جير عن وادي الساورة، ثم الحمادة الواقعة بين وادي الساورة وتوات، ثم الحمادة الكبيرة الواقعة في الطريق المؤدي من وادي أيكون إلى وارجلا وهي مسيرة أربعة أيام في أرض جرداء، ويستمر الطريق من وارجلا إلى وادي ريغ ثم وادي سُوف وقبل الوصول إلى نفزاوة في الجنوب التونسي توجد سبخة هشة يخترقها طريق ضيق تسلكه القوافل بعيراً أثر بعير[30].

وتتخلل بلاد المغرب أنهار متعددة، تُدعى أودية، حتى وإن كانت غزيرة المياه دائمة الجريان وأهمية هذه الأنهار أو الأودية تتحدد بالمصادر التي تغذيها طوال السنة أو لفترة زمنية محددة، فأنهار كلوس وسبو وأبي رقراق وأم الربيع تنبع من الجبهات العالية التي تكثر فيها الأمطار والثلوج وتصب جميعها في المحيط الأطلسي[31].

وثمة أنهار تغزر مياهها شتاءً وتجف صيفاً كنهر ملوية وتافنا وشلف وسومام ومجردة والمليان وكلها تصب في البحر المتوسط. وينبع قسم من الأنهار من المنحدرات الجنوبية لجبال أطلس ويتجه نحو الصحراء ويضعف شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى في رمال الصحراء ومنها على سبيل المثال:

نهر الداورة والساورة والناموس والغرغار، وفضلاً عن الأنهار تنتشر

(28) سعد زغلول: 1/ 73 و74.
(29) ابن خلدون: 6/ 100 «وبدايتها: من دوتر ـ كذا ـ إلى بلاد ريغ».
(30) سعد زغلول: 1/ 74.
(31) ابن منصور: 1/ 10.

البحيرات في معظم أقاليم المغرب العربي، وبعض هذه البحيرات تظل مغمورة بالمياه طوال فصول السنة، وبعضها تتبخر مياهها في الصيف فتتحول إلى منطقة ملحية يُطلَق عليها اسم: الشط أو السبخة.

السكان

أطلق المؤرخون على السكان الذين يعمرون بلاد المغرب العربي، اسم البربر[32]، وللمؤرخين في تفسير هذه الكلمة عدة آراء، فمنهم من يفسّر الكلمة تفسيراً لغوياً. فيرى أن لغة القوم وكانت تختلط فيها الأصوات غير المفهومة حتى قِيل لهم: «ما أكثر بربرتكم»[33]، وقيل: إن لغة البربر يكثر فيها استعمال حَرفَي الباء والراء، فقيل ما هذه البربرة[34].

ونسب البعض هذه التسمية إلى جدهم الأعلى بر أو بربر. والحقيقة أن الاختلاف في أصل هذه التسمية ما زال قائماً، وأن سكان المغرب يأنفون من تسمية «البربر» ويُطلِقون على أنفسهم اسم الأمازيغ «الرجل الحر»[35] أو ربما سُمّوا بأسماء قبائلهم[36].

وقد وصف ابن خلدون البربر بقوله: «هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملأوا البساط والجبال من تلوله وأرياضه وأماره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين، ومن الخوص والشجر، ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العز والغلبة منه لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة،

(32) ابن خلدون: 6/ 101 و102. ابن منصور: 1/ 10.

(33) ابن خلدون: 6/ 89، وذكر ابن خلدون: «أن أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لمّا غزا المغرب وأفريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والأمصار... رأى هذا الجمع من الأعاجم وسمع رطانتهم... فقال ما أكثر بربرتكم، فسمّوا بالبربر». وينظر أيضاً: ص 96.

(34) سعد زغلول: 1/ 80 والهامش رقم: 83. العبادي، ص 13.

(35) ابن خلدون: 6/ 89. وينظر: البلاذري، فتوح، ص 231.

(36) ابن منصور: 1/ 264. العبادي: 13.

لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأمس، ومكاسبهم الشاء والبقر، والخيل في الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأظعان في نتاج الإبل، وظلال الرماح وقَطْع السابلة، ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف، يشتملون الصمّاء بالأكسية المعلمة، ويفرغون عليها البرانس الكحل، ورؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق.»[37].

والبربر قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية في عصور موغلة في القدم ثم أعقبت ذلك هجرات أخرى من بلاد الشام ومصر استقرت في أقاليم المغرب المختلفة[38]، وقد كشفت الحفريات جماجم بشرية، وُجِدت في ليبيا والجزائر واليمن وفلسطين، ووُجِد بين هذه الجماجم الأربع تطابق كامل، وقُدّر عمر تلك الجماجم بأكثر من خمسين ألف سنة[39].

وقد عُثِر على فكّ إنسانيّ ينتمي إلى العصر الحجري القديم الأوسط في كهف هو افتيح غرب درنة في ليبيا، واستُخدِم الكربونُ المشع في اختبار عمر الفحم الخشبي الذي وُجِد في مواقد هذا الموقع الراجعة إلى تلك الحقبة، وقد أُعطِيت سنة (43,000) ق.م. تاريخاً له. «وقد ثبت من الدراسات المقارنة تشابه هذا الإنسان مع إنسان نياندرتال في فلسطين، كما أن هذا التشابه أيضاً يُمْكن ملاحظته في الصناعة الحجرية المنتمية لهذه المرحلة، مما يؤكد وجود نوع من الصلات الحضارية، والبشرية بين جنوب غرب آسيا، وشمال شرقي ليبيا»[40] وأثبتت الحفريات أيضاً وجود علاقة قوية

(37) ابن خلدون: 6/ 89.

(38) ولابن خلدون رأيٌ في أصول البربر، وينظر: العبر: 6/ 97.

(39) عثمان سعدي، الأصول العربية للبربر، بحث منشور في مجلة آفاق عربية، العدد 9/ السنة الخامسة، ص: 8.

(40) الناظوري: 1/ 62.

بين إنسان العصر الحجري القديم الأعلى في المغرب، ونظيره إنسان الوطن العربي في المشرق وحُدِّد عمر الآثار المكتشفة بحوالى (28,000) أو (29,000) سنة قبل الميلاد[41]، ولاحظ الدارسون أيضاً وجود شبه علاقة بين الآثار المكتشفة في مواقع إنسان العصر الحجري الحديث في المغرب، والمواقع الأثرية في الفيوم بمصر[42]، وهذه العلاقة والتشابه يدلان دلالة قاطعة على أن إنسان المشرق والمغرب من أصل واحد، وأن أقدم هجرة عربية إلى بلاد المغرب حسب المكتشفات الأثرية قد كانت في حدود خمسين ألف سنة قبل الميلاد، إن لم تكن أقدم من هذا التاريخ بكثير.

وتتفرع قبائل المغرب العربي «البربر» إلى فرعين كبيرين هما:

أ ـ البتر:

نسبة إلى مادغيس بن بر المُلقَّب بالأبتر، وقبائلهم كثيرة، تنتشر في مناطق واسعة من بلاد المغرب العربي، حتى لا يكاد إقليم من أقاليمه يخلو من جماعة منهم.

والبتر في معظمهم قبائل رحّالة تنتقل من مكان إلى آخر طلباً للكلإ، وتنتشر في أقاليم النخيل الممتدة من غدامس إلى السوس الأقصى، وهي تكوّن أغلب سكان القُرى والمناطق الصحراوية، ويمتاز البتر بالروح الحربية العالية، وفرسانهم من أشجع فرسان البربر، وقد كان لهم دورٌ فاعل في نشر الإسلام في المغرب العربي والأندلس وجنوب الصحراء.

أما اعتزاز البتر بالعروبة فلا يعادله اعتزاز، فقد استمسك بها كُتّابهم وشعراؤهم، وافتخروا بها على من عداهم[43].

وأشهر قبائل البتر، قبيلة اداسة، وهم بنو داس بن زحيك بن مادغيس

(41) الناظوري: 1/ 112.

(42) الناظوري: 1/ 126. وينظر، جوليان: 1/ 58.

(43) ابن منصور: 1/ 299.

الأبتر، وتتفرع من اداسة قبائل اندارة، واوطيطه، وترهونة، وصنبره وهداغه، وهنزولة، وشتاتة، ومنها قبيلة معروفة بأسمها مستقرة بالجبال الغربية من نهر مجردة بتونس[44].

ـ وقبائل نفزاوة: وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر، كانت مواطنهم جنوبي شط الجريد، حتى سُمّيت المنطقة ببلاد نفزاوة، ثم تفرعت قبائلهم في سائر المغرب واستوطنت في مناطق متعددة منه[45]. ومن قبائلهم مكلاته، وأصلهم كما يقول أبن خلدون: من عرب اليمن، ولها بطون متعددة مثل: بني ورياغل، وكزناية، وبني يصلتن، وبني يزناسن، ويقال إن غساسة منهم[46] وولهاصة، أكبر قبائل نفزاوة سُمّيَت بأسم أبيها ولهاص بن يطوفت وزاتيمة، وزهيلة وكانوا بنواحي بادس مندمجين في قبائل غمارة، ومجر، ومرتيسة وسوماته في نواحي القيروان وملیانة في المغرب الأوسط، ورغوس وكانت تسكن مدينة تيجس العتيقة ووردين، ووركول، ومنهم أيضاً قبائل ورفجومة، وكانت ورفجومة كما يقول أبن خلدون: من «أوْسَم بطون نفزاوة وأشدهم بأساً» ومواطنهم بجبال أوراس[47].

ـ وقبائل لواتة؛ «وهم بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك»[48].

ومواطنهم في برقة وإقليم طرابلس قبائل في جبال أوراس وفي تاهرت[49]، وكانت قبيلة لواته من أوائل القبائل التي دخلت في الإسلام، وشاركت القوات العربية في حروب التحرير.

---

(44) ابن منصور: 1/303.

(45) ابن خلدون: 6/114. ابن منصور: 1/306.

(46) تاريخ ابن خلدون: 6/114.

(47) ابن خلدون: 6/115.

(48) ابن خلدون: 6/116. وينظر، ابن حزم: الجمهرة: 498 وهو يزعم أن لواتة من القبط.

(49) ابن خلدون: 6/96، 117. البكري: 5.

ومن أشهر قبائلها، مزيتة وهي من أكبر قبائل لواته.

وجدانة، ومفاغة، وعزوزة، وأكورة، وجرمانة، ومغانة، وسدراته، وهم بطون كثيرة اختلطت بقبائل مغراوة وبطونها[50].

- وقبائل نفوسة، نسبة إلى نفوس بن زاجيك، وهم بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها، وكانوا من أوسع قبائل البربر وفيهم قبائل كثيرة، وموطنهم بجهات طرابلس، وإليهم يُنسَب الجبل الواقع قبالتها، وكانت مدينة صبرة من مدنهم المعروفة قبل الإسلام[51]، ومن أشهر قبائلها، بنو زمور، وماطوسة وبنو مسكور[52].

- وقبائل ضريسة، بنو ضريس بن زحيك، وأشهر قبائلها: درنة، أو دونة، إخوة مغيلة ومعدودون منها.

وكشاتة، وهم أيضاً إخوة لمغيلة.

وكوحيه، وكانوا يعرفون بصطفورة، ولهم ثلاثة بطون منها تفرعت قبائلهم وبطونهم وهي: ندرومة، وصغارة، وبنو يلول وموطنهم بجبال تراره شمال غرب مدينة تلمسان، وهم قبيلة عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين[53]. ولماية: من قبائل ضريسة المعروفة بوفرة العدد، كانوا خارجين بإفريقية والمغرب ومواطنهم بالتخوم الجنوبية مما يلي الصحراء، وهم الذين نزلوا عبد الرحمن بن رستم واتخذوا له مدينة تاهرت مركزاً، وتفرّق الرهم بعد خراب تاهرت وبقيت منهم بقية بين زوارة وطرابلس في قرية حملت اسمهم[54].

وصنيونه: من قبائل المغرب المشهورة، كانوا بنواحي تلمسان وشاركت

- ابن حسون: 6/ 117. ابن منصور: 1/ 304.
- ابن حسون: 6/ 114.
- ابن منصور: 1/ 308.
- ابن حسون: 6/ 126.
- ابن حسون: 6/ 120 - 122. ابن منصور: 1/ 309. وينظر: البكري: 18.

جماعات منهم في فتح الأندلس، وعندما زاحمتهم القبائل في مواطنهم لجأوا إلى حصون جبل تاسالة وجبل وِجْدة[55].

ومطماطة: وٱسم أبيهم مصكاب، ومطماط لقب له، وهم قبيلة كبيرة منتشرة في عموم بلاد المغرب، وإليهم ينسب الجبل الواقع جنوب تونس[56].

ومطغرة؛ وموطنهم بالمغرب الأقصى. دخلوا الأندلس في حملة طارق بن زياد، واستقرت منهم جماعة كبيرة في تلك البلاد.

وقد فشت فيهم دعوة الخوارج الصفرية، فخرجوا على عبد الله بن الحبحاب سنة 122هـ ، وتمكّن زعيمهم ميسرة المطغري من إلحاق هزائم متعددة بقواته[57].

ومغيلة؛ استوطنت وادي شلف بالمغرب الأوسط، ومنهم جماعة كبيرة بالمغرب الأقصى، وقد عاضدت قبائل مغيلة إدريس بن عبد الله ومكّنته من تأسيس دولته سنة 172هـ [58].

مديونة: إحدى القبائل التي كانت مع مغيلة لمؤازرة إدريس بن عبد الله[59].

وزناتة: من ولد زانا أو جانا بن يحيى بن ضريس، وزناتة من أكبر القبائل البربرية وأوفرها عدداً كان لها في تاريخ المغرب العربي نصيب وافر، ومواطنهم بصحراء المغرب ما بين غدامس إلى ما وراء الساورة، ثم وطنوا المغرب الأوسط حتى سُمّي بوطن زناتة، والقسم الشرقي من المغرب

(55) ابن خلدون: 6/ 125.
(56) ابن خلدون: 6/ 123.
(57) ابن خلدون: 6/ 118، 119.
(58) ابن منصور: 1/ 310.
(59) ابن منصور: 1/ 310.

الأقصى إلى جبال تازة، وإلى زناتة يُنسَب بنو مَرِين سلاطين الدولة المرينية، وبنو عبد الواد حكام تلمسان[60].

وزوارة، ويُقال: إنها من قبائل كتامة من البربر البرانس، ومواطنهم بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، وهي مناطق وعرة صعبة المسالك. ومن مشاهير بطونهم بنو عردان وبنو تورغ، وبنو عيسى، وبنو شعيب[61].

وزواغة: قال ابن خلدون: «وأما زواغة فلم يتأدَّ إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل فيه الأقلام ولهم ثلاث بطون وهي: دمر بن زواغ، وهراوطيل بن زحيك... وبنو ماخر بن زواغة، ومن دمّر سمكان وهم أوزاع في القبائل ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في براريها ولهم ممالك الجبل المعروف بدمر، ومن جهات قسنطينة أيضاً رهط من زواغة، وكذلك بجبال شلف... وبنواحي فاس.»[62].

ومكناسة، وهم قبائل عديدة، مشهورة في تاريخ المغرب موطنهم على وادي ملوية من منبعِه بجبال الأطلس المتوسط حتى مصبّه في البحر المتوسط، وبأسم هذه القبائل سُمّيَت مدينة مكناس، وكانت رئاسة هذه القبائل في بني أبايرون وأسمه مجدول بن ناقريس.

وخرجت قبائل منهم إلى الأندلس فأستقرت بها وكانت لهم بها رئاسة ولبعض زعمائهم عداوة لعبد الرحمن الداخل، وأخبارهم في بلاد المغرب مفصلة اختصر ابن خلدون بعضاً منها[63].

ب ـ البرانس:

وهم البربر الذين عُرِفوا بالاستقرار وسُكنى المدن وكان معظمهم ينزل في المناطق الساحلية القريبة من البحر والمناطق الجبلية الممتدة عبر

(60) ابن منصور: 1/ 311. عبد العزيز بن عبد الله: 9 وما بعدها. العبادي: 15.

(61) ابن خلدون: 6/ 128، وقارن: ابن منصور: 1/ 311.

(62) تاريخ ابن خلدون: 6/ 129. وينظر: البكري: 18.

(63) ابن خلدون: 6/ 129 و130. ابن منصور: 1/ 312. عبد العزيز بن عبد الله: 10.

المغرب، والبرانس ـ كما يؤكد المؤرخون ـ أكثر حضارة وتمدناً من البربر البتر، كما كانوا أكثر تأثراً منهم بالدول التي توالت على حكم المغرب العربي.

من أشهر قبائل الرانس: أزداجة، وأوربة، وأوريغة وكتامة، ومصمودة، وصنهاجة، وعجيسة. وأضاف بعض النسابة: ولنطة، وهسكورة، وكزولة[64].

- وقبائل أزداجة، ويُعرَفون أيضاً بوزداجة ويقال إن أزداجة من زناتة.
- وكان موطنهم بنواحي وهران في المغرب الأوسط، وكانت لهم كثرة ووفرة، شاركوا في الحوادث التي جرت يومئذ في بلاد المغرب ونُكِبوا عدّة مرات. ومن بطونهم مسطاسة، وبني مسكن[65].
- وقبائل أوربة منهم ولد أورب بن برنس، وكان زعيمهم في بداية حروب التحرير العربية سكردید بن زوغي المتوفى سنة 71هـ ومواطنهم المشهورة في مناطق تلمسان ثم انتقلت إلى مناطق وليلي بعد اندحار كسيلة أعلم زهير بن قيس البلوي سنة 69هـ . ومن قبائلهم: ديقوسة، وزهجولة، ولجاية، ومزياتة، ونفاسة، ونيجة[66]..
- قبائل أوريغة أو هوارة، وهم بنو أوريغ بن برنس، ويقال إنهم من عرب اليمن، وإنهم أحد بطون قضاعة، وتارة يقال: إنهم من وَلَدِ المسوَّر بن السكاسك بن حمير[67]..

وقبائل أوريغة كثيرة، وكانت مواطنهم في أول حروب التحرير بنواحي طرابلس وما يليها من إقليم برقة ثم انساحوا مع حركة حروب التحرير

(64) ابن منصور: 1/ 301.
(65) ابن خلدون: 6/ 144.
(66) ابن خلدون: 6/ 146. وينظر البكري: 55. عبد العزيز بن عبد الله: 11.
(67) ابن خلدون: 6/ 139.

وانتشروا في عموم المغرب. وشاركوا في فتح الأندلس مع طارق بن زياد، ودخلوا صقلية مع أسد بن فرات زمن الأغالبة. ويدخل في قبائل هوارة عدد كبير من القبائل وأكثرها شهرة: أسيل وسطات، ومليلة، ومسلاته، وقبائل أخرى[68].

- وقبائل كتامة: يُنسَبون إلى كتام بن برنس وهم من حمير. وتُعَدّ كتامة من أشهر قبائل البربر البرانس وأشدها وبأساً وهم أهل استقرار وحضارة، وكانت مواطنهم بإقليم قسنطينة وفي شرق المغرب الأوسط وفي جبال أوراس وكانت لهم في تلك المناطق مدن مشهورة مثل: مدينة أسطيف، وباغية، وميلة، وجيجل وغيرها. ومن قبائلها المشهورة: جيملة، ولهيصة، واجانه، وماوطن، ومتوسة، وزوارة، ومصالة، وغيرها[69].

- قبائل مصمودة: وهم أبناء مصمود بن برنس، ومواطنهم الأصلية في شمال المغرب الأقصى، وتبدأ رقعة انتشارها من حدود بلاد الريف إلى المحيط الأطلسي غرباً ثم تمتد إلى الجنوب إلى تامسنة ودكالة حتى جبال الأطلس الكبير والمناطق المطلق عليها إقليم السوس، وقد اختصت مصمودة بسُكنَى جبال المغرب الأقصى وظلت على حالها حتى دخول القوات العربية بلاد المغرب.

ومن أشهر قبائل مصمودة: قبيلة برغواطة[70]، وحاحة، ودكالة، ورجراجة، وغمارة، وهم مصامدة الشمال، وكانوا من أشهر البربر وقد سُمّوا بأسم غمار بن مصمود، ومواطنهم على ساحل البحر المتوسط في حد بلاد الريف إلى المحيط الأطلسي وتمتد على السهول الساحلية، وقبيلة هرغة

(68) ابن خلدون: 6/ 139 ـ 144.
(69) ابن خلدون: 6/ 148. وينظر: البكري: 63. عبد العزيز بن عبد الله: 10.
(70) ابن خلدون: 6/ 207.

وهي قبيلة المهدي بن تومرت وقبيلة هنتانة، وقبيلة هيلانة، وقبيلة وريكة وغيرها من القبائل الأخرى[71].

- قبائل صنهاجة: بنو صنهاج بن برنس، وهم من حمير وقبائل صنهاجة من أكبر قبائل البربر على الإطلاق وتنتهي قبائلهم وبطونهم إلى سبعين قبيلة ينتشرون في معظم بلاد المغرب العربي[72]، لا يخلو منهم جبل ولا بسيط ومواطنهم الأصلية أربعة:

1 ـ الناحية الواقعة بين بجاية، والمسيلة، ومليانة، والمديّة، بالمغرب الأوسط.

2 ـ الناحية الواقعة بين نهر كرط، وبلاد غمارة، والبحر المتوسط بالمغرب الأقصى.

3 ـ والناحية الواقعة بين المحيط الأطلسي ووادي درعة والسفوح الخلفية لجبال الأطلس.

4 ـ مناطق الصحراء الكبرى الممتدة من غدامس إلى المحيط الأطلسي وبلاد السودان بأقصى الجنوب[73].

وأهم قبائل صنهاجة هي: قبيلة بجاية، وقبيلة بطوية، وقبيلة جزولة، وقبيلة كدالة وهي من قبائل المُلثَّمِين في الصحراء وقبيلة لَمْتُونة مؤسسي الدولة المرابطية وقبيلة لَمْطة، وقبيلة مليانة، وهم من بطون صنهاجة المغرب الأوسط. وقبيلة مسوفة، وقبيلة فشتالة، وقبيلة هكسورة وقبائل عديدة أخرى منتشرة في عموم المغرب العربي[74].

- قبائل عجيسة: وهم بنو عجيسة بن برنس وكانت هذه القبائل تجاور في

(71) ابن خلدون: 6/ 207 وما بعدها.

(72) ابن خلدون: 6/ 152.

(73) ابن منصور: 1/ 329. وينظر، عبد العزيز بن عبد الله: 11 وما بعدها.

(74) فَصّل ابن خلدون الكلامَ عن قبائل صنهاجة ودورها في أحداث المغرب العربي تفصيلاً وافياً، ينظر: 6/ 152 وما بعدها.

مواطنها لصنهاجة المغرب الأوسط وبعضهم يسكن جبل القلعة «قلعة بني حماد»[75].

الأقليات غير الوطنية

وإضافة إلى سكان المغرب الأصليين «البربر» وُجِدت هناك أقليات سكنت المغرب العربي ومن هذه الأقليات:

1 ـ الأفارقة: وهم السكان الذين اختلطوا بالروم، ودخلوا في خدمتهم وتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم، كما اعتنقوا النصرانية في بداية أمرهم. وأسلم قسم كبير منهم عند دخول القوات العربية بلاد المغرب، لكنهم ظلوا محافظين على لغتهم الخاصة، وعاداتهم، وكانوا ميّالين إلى مؤازرة الخارجين على السلطة المركزية[76].

2 ـ الروم: وهم بقايا الاستعمار الروماني، آثرت جالية منهم البقاء في المغرب بعد تحريره ودخل بعضهم الإسلام، في حين ظلت غالبيتهم على معتقادتهم السابقة. وكانوا يتمركزون في بعض إقليم الجريد، وقسطيلية[77].

3 ـ السودان: ووجود السودان في المغرب العربي قديم، وعلاقة المغرب مع أمم السودان الغربي والشرقي وثيقة جداً[78]، واستمرت هذه العلائق في العصور الإسلامية وازدهرت في عصر المرابطين[79].

4 ـ وإضافة إلى ذلك فقد وُجِدت جماعة من اليهود، يمارسون التجارة

---

(75) ابن منصور: 1/ 336.

(76) سعد زغلول: 1/ 106.

(77) الاستبصار: 15.

(78) دنيز بولم: الحضارات الأفريقية، ترجمة: نسيم نصار، ط2، 1982، بيروت، ص: 23 وما بعدها.

(79) سعد زغلول: 1/ 108.

وأعمال الرِّبا بين السكان شأنهم في كل زمان ومكان[80].

الديانـــة

كان معظم السكان يدينون بالديانة الوثنية، ويقدمون القرابين لآلهة ذُكِر منها: الإله ماكورنا، ويوتا، وماكورفوس وماتيلا[81]، وأهتم الفينيقيون ببناء المعابد للإله تاميت والذي كانت تقدسه قبائل عديدة من السكان[82]، كما كانت عبادة الشمس والقمر وغيرهما من الظواهر الطبيعية منتشرة في أوساط واسعة[83]، إضافة إلى عبادة الأشجار والحيوانات، وتقديس الملوك ورؤساء القبائل[84].

وقد عُرِفت قبائل معيَّنة بعبادة آلهة خاصة بها، فأهل ودّان كانوا يقدّسون صَنَماً كبيراً من الحجارة، ويقدمون له القرابين[85]، وكانت قبائل أخرى تقدم الكِبَاش وتتبرك بها[86].

وكانت الكاهنة ملكة جبال أوراس وقومها من جراوة يعبدون صنماً كبيراً من الخشب، يُحمَل معها حيث رحلت[87].

وكانت أعمال الشعوذة والسحر منتشرة بين صفوف بعض القبائل، وكان لهذه الأعمال أثر كبير في نفوس العامة من السكان، ولعل خير مثال على ذلك ما كانت تقوم به الكاهنة من أعمال حتى تمكنت من سلب لُبّ وإرادة

(80) العبادي: 16.
(81) السائح: 1/ 58.
(82) الناظوري: 1/ 127.
(83) ابن خلدون: 6/ 94.
(84) السائح: 1/ 85.
(85) البكري: 12.
(86) البكري: 161.
(87) المالكي: 1/ 35.

قومها من جراوة عن طريق التنبؤ، وإخبارهم بأمور لم يألفوها[88].

ووُجِدت الديانة اليهودية طريقها إلى المغرب، فدانت بها قبائل من السكان. كما انتشرت الديانة النصرانية في المناطق والمدن الساحلية التي كانت خاضعة لنفوذ الغزاة البيزنطيين. «غير أن كل هذه الديانات في الواقع، كانت منتشرة انتشاراً سطحيّاً ضعيفاً، بمعنى أنها انتشرت بالاسم فقط، ولم يكن لها غَلَبة أو نفوذ، بدليل أن العرب لم يجدوا صعوبة في اجتذاب المغاربة إلى الإسلام، حتى صاروا من أشد الناس دفاعاً عنه»[89].

88 ينظر مثلاً: ابن عذاري: 1/ 37.
89 العبادي: 17.